العلامة المحدث السيد إبراهيم الخليفة الحسني في ذمَّة الله

ناجي العربي

البحرين

هو السيد الشريف إبراهيم بن السيد عبد الله بن السيد أحمد الخليفة الإدريسي الحسني الشافعي مذهبًا، القادري طريقةً، الأحسائي مولدًا، ثم الإستانبولي منزلًا ومماتًا.

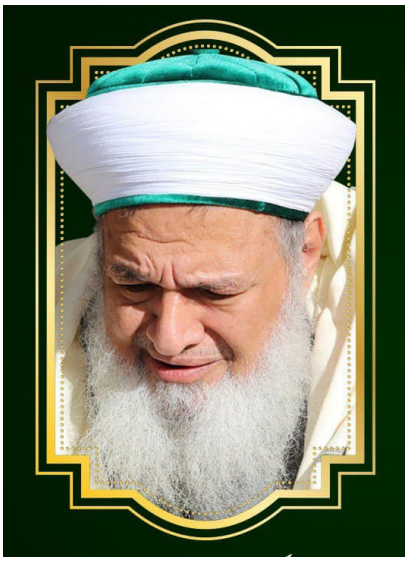

ولد رحمه الله في شهر محرَّم سنة ١٣٧٦ من هجرة جدِّه المصطفى صلَّى الله عليه وسلم في بيت فضلٍ ودينٍ وعلمٍ وأدبٍ ورحمةٍ، في منطقة الكوت بالأحساء.

نشأ نشأة علميَّة في كنف العلماء والصالحين الذين أعطوه من علمهم واقتبس من مشكاة صلاحهم، ولا سيَّما شيخه العلَّامة الجليل الشيخ محمَّد بن أبي بكر الملَّا، الذي ربَّاه تربية الأب لابنه والشيخ لمريده فكان القريب للشيخ وقد تخلَّق بأخلاقه واهتدى بهديه وورث من مكارمه ومآثره ما فاق به أقرانه وخلَّانه منذ الصغر، فلازم الشيخ قرابة تسع سنين، وقرأ عليه النحو والصرف وعلم التجويد وعلم السلوك، وقد كان يقول عن شيخه الملا: هو شيخي على الإطلاق، رباني وعلَّمني وحفظني من الزيغ وأرشدني إلى طريق الحقِّ، جزاه الله عني خيرًا، وكذلك يقول عنه: لو لم يكن له عليَّ فضلٌ إلا أن

علَّمَني التعلُّق بجناب الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم لكفى.

بدت عليه أمارات العلم وسمات الصلاح وجالس العلماء وأخذ عنهم منذ صغره.

حفظ القرآن الكريم صغيرًا حين كان عمره اثنتي عشرة سنة، وكان قد قرأه وصحَّحه على شيخه العلَّامة الجليل المعمر البركة المشهور بالشافعي الصغير الشيخ أحمد الدوغان.

شيوخه

للعلَّامة الجليل قصب السبق في هذا الباب، فنفسه رحمه الله تعالى شغوفة بالعلم منذ الصغر، محبَّة له، وكانت له همَّة تختلف عن غيره من همم أبناء وقته؛ إذ ينطبق عليه قول الشاعر:

أروم من الأيام ما لا يرومه سواي وقدر المرء ما هو رائم

فقد تعدَّد مشايخه وتنوَّعوا، وكان واسع الخطوة في هذا الباب؛ لذلك كثر شيوخه جدًّا، ممَّن أخذ عنهم العلم روايةً ودرايةً، وتعداد مشايخه في هذه العجالة أمر متعذِّر نَعِد القارئ الكريم بتفصيل ذلك كله في ثبت خاص، فقد يسَّر الله تعالى له لقاء الكبار من العلماء وخصَّه بأن يكون مشايخه في العلم والطريق كلُّهم من ذوي التميُّز، كلٌّ في تخصُّصه، فصار واحدًا ممَّن تدور عليهم في زماننا الأسانيد العالية، ففاق رحمه الله تعالى الكثير ممَّن هو أكبر منه سنًّا وأقدم منه في الطلب، وهذا هو شأن من يطلب الكمالات ويسعى لها مهما كلَّفه ذلك.

وإذا كانت النفوس كبارًا تعبت في مرادها الأجسادُ

ونذكر هنا بعضًا من هؤلاء الأعلام فنقول: من مشايخه رضي الله عنه الذين درس عليهم في الأحساء: شيخه الإمام العلَّامة رأس المدرسة الحنفية محمَّد بن أبي بكر الملَّا، والشيخ محمَّد بن أحمد العبد اللطيف الشافعي، والشيخ عبد الله بن عبد اللطيف الخطيب، والشيخ الإمام أحمد بن عبد الله الدوغان، والشيخ عبد العزيز

بن عبيد الله الشافعي، والشيخ محمَّد بن عبد الرحمن العمير، والشيخ السيد عبد الرحمن بن هاشم الهاشم، والشيخ عبد الرحمن بن أبي بكر الملَّا، وغيرهم.

وممن أخذ عنهم من غير الأحساء: الشيخ الإمام ضياء الدين أحمد القادري الرضوي، حضر عليه مجالس في صحيح البخاري وسنن النسائي وغيرها، وكان كثير الزيارة له والتردُّد عليه، و قد أجازه الإجازة العلمية الكاملة المعروفة عند أهل الهند بشروطها المعتبَرة، كما خلفه في الطريقة القادرية العليّة وغيرها من الطرق بأسانيده العالية إلى رجالاتها، وأمره بإرشاد الناس ودلالتهم على الله ورسوله صلى الله عليه وسلم.

والشيخ حسن بن محمَّد المشاط المالكي المكي، والشيخ محمد ياسين الفاداني المكي، والسيد عبدالله بن الصديق الغماري، والسيد عبد العزيز بن الصديق الغماري، والشيخ محمد زكريا الكاندهلوي، والشيخ محمد بن صالح المحضار، والشيخ محمد الشاذلي النيفر التونسي، والشيخ عبدالله سراج الدين الحلبي، والشيخ عبد القادر عيسى الحلبي، والسيد محمد علوي المالكي، والشيخ عبد الرزاق الحلبي، والشيخ رشيد الدرقاوي الفاسي، والشيخ المكي بن كيران الفاسي، والسيد عبد القادر بن أحمد السقاف، والسيد أحمد المشهور بن طه الحداد، والسيد إدريس العراقي الحسيني الفاسي، والشيخ نجم الدين الكردي المصري، والشيخ محمد عاشق إلهي البرني، والشيخ عبد الله التليدي، والشيخ محمَّد علي المراد الحموي، والشيخ سعد الدين المراد الحموي، والشيخ عبد الرحمن الشاغوري، والشيخ محمَّد المنتصر بن السيد الزمزمي الكتاني، والشيخ أحمد نصيب المحاميد الدمشقي، والشيخ مرشد عابدين الحنفي، والشيخ محمَّد نمر الخطيب، والشيخ محمَّد بن يعقوب الحجازي، والسيد سالم بن عبد الله الشاطري، والشيخ محمَّد بن إبراهيم الفاسي الشاذلي، والشيخ محمَّد بلقايد الشاذلي التلمساني، والسيد عبد الرحمن الكاف، والشيخ محمَّد عثمان سراج الدين النقشبندي، والشيخ محمود أفندي الأوفي التركي، والشيخ محمَّد سلقيني الحلبي، والشيخ محمَّد زكي إبراهيم المصري، والشيخ عبدالفتاح أبو غدة، وغيرهم كثير، رضي الله عنه وعنهم أجمعين.

تعليمه ودعوته

تولَّى إمامة الناس في مسجد جدِّه السيد علي المغربي المعروف بجامع الدبس، وكان عمره ست عشرة سنة، وتخرَّج في جامعة الإمام الإسلامية في الرياض سنة ١٤٠١هـ، ثمَّ التحق للتدريس بالمعهد العلمي بالأحساء، فعمل مدرِّسًا لمرحلتي المتوسِّط والثانوي مادَّة الحديث وغيره، ولم تطل مدَّة عمله بالمعهد، فبعد عشرين سنة قدَّم تقاعده من الوظيفة وتفرَّغ للدعوة تفرُّغًا كاملًا.

وكان بعد التقاعد يدرِّس بزاويته المباركة بحي الكوت وفي بيته المعمور دروس العقيدة والحديث والفقه وأصوله والسلوك واللغة وعلومًا أخرى، فختم صحيحي البخاري ومسلم والموطَّأ مرارًا، والكتب الستة مرتين، وسنن الدارمي كاملًا إلا مجلس الختم، فقد سبق إليه الأجل قبل إتمامه، وشرح صحيح مسلم للنووي كاملًا، وغيره من الكتب الحديثية، مشتغلًا مع ذلك بالتوجيه والإرشاد والرحلة مع طلَّابه لبلاد العلم والعلماء الصالحين.

له رحلات علمية ودعوية مباركة إلى المغرب العربي والشام ومصر وطشقند وبخارى، ودول الخليج، وهولندا وإسبانيا، وبلجيكا، وله طلبة في كثير من أنحاء العالم، كانت آخر رحلاته العلمية إقامته في تركيا التي أقرأ فيها الكتب الستة وموطَّأ مالك برواية الإمام محمَّد بن الحسن.

وكان شديد الملاحظة، حاضر الذهن، قوي الحافظة، متوقِّد العقل، يقرأ طلَّابه في مجلسه كما يقرأ الكتاب، وكان المنتهى في الرحمة، مأوى المحتاج والمسكين، عطوفًا على طلَّابه، يجري كرم بني هاشم مجرى دمه، يجالس الفقراء ويطعمهم بيده، هو الغاية في الوفاء لا ينسى من سقاه شربة ماء، الغاية في التواضع لا يرى نفسه خيرًا من أحد، يحترم الصغير فضلًا عن الكبير، لا يقابل أحدًا بما يكره، إذا جاءه مكسورٌ لا يتركه حتى يجبر كسره، تمنعه حاجة الطالب من المطعم والمشرب إذا لم يستطع قضاءها، يعلم ذلك كل من يعرفه عن قرب، ما كان يعرف كلمة (لا) أمام حاجة محتاج أو طلب طالب، وهذا أمر متواتر عنه.

انخرط رحمه الله تعالى في سلك الجواهر القدسية متعريًا عن جلباب الجسمية آويًا إلى حضرة مولاه العليَّة في إستانبول المحمية؛ إذ وافاه أجله المقدَّر المحتوم صبيحة يوم الجمعة أوَّل يوم من شهر ذي القعدة عام ١٤٤٢ من هجرة جدِّه المصطفى صلَّى الله عليه وسلَّم، وصلَّى عليه جمعٌ غفير في مسجد السلطان محمَّد الفاتح رحمه الله تعالى، ونزل في ضيافة سيِّدنا أبي أيُّوب الأنصاري رضي الله عنه، ودفن عملًا بوصيته في جوار شيخه عبد القادر عيسى رحمه الله تعالى.

نوَّر الله مرقده ورحمه الله تعالى وأكرم مثواه وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء.